

التعريف بالتفسير الجامع



الشيخ الدكتور
محمد عبد الستار السيد



(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة ص: ٩٢
لا شك أن كتاب الله عز وجل هو اللفظ العربي المعجز، الذي ضم علم الأولين
والآخرين، وهو كتاب محكم بما فيه، حوى قصص الخليقة والكون، فيه من الآيات
والمعاني ما هو متشابه وما هو مجمل... إلخ
لذلك داب العلماء على تفسير كتاب الله عز وجل بطرق كثيرة ومناهج متعددة
واختصاصات متنوعة،

ولو وقفنا على أشهر التفاسير لرأينا أن لكل مفسر طريقته الخاصة به وذلك على
النحو الآتي:

تنوع كتب التفسير وأقسامها: وتقسم بحسب اعتباراتها إلى:

الاعتبار الأول: من مصادرها التي تعتمد عليها وهي:

١- تفسير بالمأثور: بالقرآن والسنة

٢- تفسير بالرأي: ويدخل تحت التفسير بالرأي كل أنواع التفسير بالرأي المحمود،
والمذموم، بسائر اتجاهاته الفقهية، والصوفية، والبلاغية، والأدبية، والموضوعية،
والتحليلية، والإجمالية، والعلمية، وغير ذلك .

الاعتبار الثاني: من حيث التوسع والإيجاز في التفسير وهي:

إما: تفسير تحليلي، أو: تفسير إجمالي .

الاعتبار الثالث: من حيث عموم موضوعات التفسير وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى
قسمين:

١- تفسير عام.

٢- وتفسير موضوعي .

أهم كتب التفسير بالمأثور :

- * جامع البيان عن تأويل القرآن - لابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) .
- * بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) .
- * معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسن بن مسعود البغوي (ت ٥١٠ هـ) .
- * المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت بعد عام ٥٤١ هـ) .
- * تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) .
- * الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت ٧٨٦ هـ) .
- * الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ جلال الدين بن أبي بكر عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
- * فتح القدير، الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) .
- * أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٤٠٥ هـ) .
- مظان التفسير بالمأثور في غير المصنفات الخاصة به يفسر صاحبها بالرأي أيضاً
كترجيح رأي أو تقوية معنى ونحو ذلك، ومن هذه التفاسير :
- * الكشف عن حقائق التنزيل - الزمخشري المتوفي عام ٥٣٨ هـ .
- * مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي المتوفي عام ٦٠٦ هـ .
- * الجامع لأحكام القرآن - القرطبي .
- * روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الألوسي .
- * التحرير والتنوير، - محمد الطاهر بن عاشور .
- * محاسن التأويل - القاسمي .

أبرز المصنفات في التفسير بالرأي المحمود :

- * مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ .)
- * أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي .
- * مدارك التنزيل وحقائق التأويل - أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي .
- * لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد الخازن .
- * البحر المحيط - محمد بن يوسف ، الشهير بابي حيان .
- * غرائب القرآن و رغائب الفرقان - نظام الدين بن الحسن النيسابوري .

من أهم مصنفات التفسير التحليلي :

* تفسير بن جرير الطبري .

* تفسير القرطبي .

مصنفات التفسير الفقهي :

- أحكام القرآن أبي بكر الرازي المعروف ب - الجصاص، (ت ٣٧٠ هـ .)
- أحكام القرآن ، للشافعي - من جمع أبي بكر البيهقي صاحب السنن، (ت ٤٥٨ هـ) .
- أحكام القرآن - ابن العربي، (ت ٥٤٣ هـ) .
- الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبي (ت ٦٧١ هـ) .

أهم مصنفات التفسير البلاغي :

- * الكشاف - محمود بن عمر الخوارزمي، المعتزلي، الملقب بجار الله الزمخشري .
- * أنوار التنزيل، وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي .
- * إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماد الحنفي .

مصنفات التفسير الصوفي :

- * الفتوحات المكية - ابن عربي .
- * الفصوص - ابن عربي والتفسير المنسوب إليه .
- * حقائق التفسير - أبي عبد الرحمن السلمي .
- * تفسير القرآن العظيم - سهل التستري .
- * غرائب القرآن و رغائب الفرقان - النيسابوري
- * روح المعاني - الألوسي .

وأما التفسير الجامع

فقد اعتمد على قواعد علمية وأساسية في منهجيته أعطته مكانته

بين التفاسير المعاصرة وأهم هذه القواعد:

- ١- تفسير القرآن بالقرآن.
- ٢- تفسير القرآن بأقوال النبي ﷺ وأفعاله وسلوكه وسيرته.
- ٣- ما اعتمد من أصول التفسير وقواعده لدى كبار المفسرين.
- ٤- فقه اللغة العربية.
- ٥- إسقاط النص على الواقع.
- ٦- ربط التفسير بالحقائق العلمية الثابتة.

فتظهر أهميته ومكانته في الآتي :

أولاً: محاربة التطرف :

دأب مؤلف هذا التفسير الشيخ د. محمد عبد الستار السيد وبشكل دقيق على دراسة الواقع الذي عاشت فيه سوريا طيلة سبع سنوات، واكتشاف آفة التطرف الذي حلت واوغلت في هذا البلد.

فامتزج الفكر الصحيح والسليم مع فهم الواقع ، ووضعت من خلال ذلك نقاط العلاج لاجتثاث جذور التطرف والإرهاب بكل آثاره ومراميه ولاعبيه ؛ حتى غدا تشخيصاً وحلاً ودواءً ناجعاً؛ فنال هذا التفسير درجة كبيرة ليرقى إلى درجة مصادر التشريع في هذا الشأن. وليختصر الفكر السوري الوسطي المعتدل (فكر علماء بلاد الشام) .

ثانياً: الشمولية :

سلك العالم المفسر د. محمد عبد الستار السيد مسلكاً علمياً جزلاً في تفسيره، جمع بين القديم والحديث من طرق المفسرين فكان التفسير جامعاً بمعناه الدقيق ، حيث ترى التفسير الجامع كأنه مشكاة جمعت فأوعت بين اللغة والإعجاز والفقهاء والعقيدة والبلاغة والبيان.

ثالثاً: المعاصرة :

كما يميز التفسير الجامع ميزة المعاصرة التي قلت في زمان التقدم العلمي عند من حاول تفسير القرآن ، ويظهر البون شاسعاً بين مفسري العصر في تفاسيرهم وبين التفسير الجامع، حيث ظهرت لمفسري العصر اعتماداتهم الكبيرة على ما كُتب في التفاسير القديمة؛ بحيث تبقى اجتهاداتهم وتفسيراتهم خجلى، في حين ترى التفسير الجامع شق الطريق أمام الواقع والمعاصرة والعلم.

رابعاً : العالمية والجماهيرية :

كان لهذا التفسير قبولاً كبيراً في الأرض - مبرهنين في كلامنا هذا على مؤشرات الواقع - حيث نرى علامات ذلك في انتشاره عبر الشبكة والشاشات وانتشاره الكبير بين ما هو مكتوب ومقروء ومسموع.

خامساً : المرجعية :

وقد التصقت هذه الميزة بالتفسير الجامع فحقق اسم مصداقيته وبرهن عليه الحال، فجمعه لطرائق المفسرين . حباه صفة المرجعية العلمية وتقصير المسافة البحثية على الباحث والطالب والقارئ فكان تفسيراً جامعاً.

سادساً : التشخيص والعلاج :

عانت ما عانتها سورية من إرهاب وتطرف وتدخل من الغرب وأمريكا والصهيونية العالمية وتعاون مع ضعاف النفوس وشذاذ الفكر وحاقدى القلوب، وبدأت تنفيذ اجندات ذلك الكيد في أرض الواقع وتلونت أنواع العداة كل ذلك كان سبباً لانطلاقة التفسير الجامع لمعاينة الواقع المر والبحث والدراسة للعمل على القضاء على التطرف والإرهاب والتكفير من خلال الفهم العميق والدقيق لأيات الله عز وجل في القرآن.

سابعاً : الانسجام والعلاقة الصحية مع الآخر :

البيان في كل شيء يجعل الأمور في نصابها، ولا شك أن الضبابية باعثة على الفهم الخاطئ والخلاف والتشويش، ولذلك كان لابد من بيان العلاقة وقواعدها وضوابطها وأحكامها الدينية والاجتماعية والوطنية بين المسلمين والمسيحيين، وبالفعل كان للتفسير الجامع الدور الفاعل في بيان هذه العلاقة لتغدو سليمة صحيحة بعيدة عن كل المشاكل والأخطاء .

ثامناً : التوصيف الدقيق :

نرى في التفسير الجامع سلوك مؤلفه طريق التوصيف الواقعي والصحيح لما يتناوله من موضوعات وأخبار الأمم ومسائل علمية متنوعة. والصهيونية العالمية هي إحدى هذه الموضوعات التي بينها التفسير الجامع ففضح حقيقتها، وكشف زيفها وعراها لتتكشف عورتها الدنيئة أمام كل عاقل و موضوعي؛ لتظهر للعالم أجمع من خلال التفسير الجامع أن الصهيونية العالمية هي إعادة أمجاد يهود المدينة (كحبي بن أخطب) وغيره من اليهود بحقدهم وكراهيتهم وعنصريتهم وعدائهم.

تاسعاً : معالجة المشكلات الاجتماعية :

المجتمع مجموعة من الأفراد تجتمع في بقعة من هذه الأرض، ولا شك أن الواقع يقتضي تنوع المعاملات واختلافها فيما بينهم؛ لذلك كان لابد من وقوع بعض المشكلات الاجتماعية وربما تزعزعت تلك العلاقات إن في بيع أو شراء أو زواج .. الخ ف جاء التفسير الجامع وشخص المشكلات ووضع الحلول المناسبة لها من خلال بيان وتفسير آيات كتاب الله في الموضوعات والحوادث والوقائع.

عاشراً : تكريس القيم الأخلاقية :

نلاحظ في مسيرة التفسير الجامع حدائق غناء من الأخلاق والآداب التي تدعو إلى الفضيلة والنوق واللباقة والكياسة، والتنبيه إلى هجر العادات السيئة والأخلاق الذميمة؛ وفي ذلك علاج للمجتمع مما حل به من أمراض النفس والواقع والبعد عن دين الله عز وجل والآداب الاجتماعية الفاضلة.

أحد عشر : نقض الفكر الإخواني والوهابي :

كشف التفسير الجامع - من خلال آيات القتال والجهاد فهم الإخوان والوهابية الخاطئ لآيات كتاب الله ولويهم للنصوص والآيات والأحاديث ليجعلوا لخارطة طريقهم مبرراً ولفكرهم سبيلاً يخربون به الأفكار والمجتمع ... ومع التفسير الجامع لآيات القتال والجهاد غابت زوابع فكرهم المقيت، ودفنت في تراب الواقع لتجدهم صاغرين مكشوفين مفضوحين.

ثاني عشر: الخروج من الخلاف والاختلاف والتعددية في طرق التفسير:

تظهر في طريقة التفسير الجامع واعتماده على قواعد معينة النظرة البعيدة والهدف الراقي لتوحيد المنهج في تفسير القرآن بحيث يخرج كل من يحاول التفسير عن المنهج التفردى الذي يفرق ولا يجمع، بل إن التفسير الجامع مهد الطريق لتوحيد المنهج الصحيح للتفسير، كما نهج كتاب التفسير الجامع منهج الجمع بين كل المذاهب دون الإساءة لأي مذهب، (فأئمة المذاهب تركوا لنا اجتهادات فقهية ولم يتركوا لنا طوائف...).

ثالث عشر: المنهجية:

منهجية التفسير الجامع وطريقته جعلته يصل إلى إجماع كبير في المؤسسات التعليمية والشرعية؛ ليكون مرجعاً ومعياراً وضابطاً للامتحانات الشفهية والكتابية في أثناء التقدم للترخيص ليكون بعد ذلك متضمناً في كافة المناهج الشرعية.

أهم المراكز التي اعتمد عليها التفسير

١. التحليل بدلاً من التلقين.
٢. الانتماء للإسلام لا يتعارض مع الانتماء للوطن (المواطنة).
٣. عدم الفصل بين الشعائر والمقاصد.
٤. النقل لا يتعارض مع العقل...
٥. التركيز على الجانب الأخلاقي في الدعوة.
٦. العمق في فهم النصوص وعدم تسطيح العقل.
٧. لا بد أن نفهم الحياة حتى نستطيع تطبيق القرآن.
٨. الاعتماد على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشماله في تفسير النصوص ...
٩. إنزال النص على الواقع.
١٠. الاعتدال وحده ليس كافياً...
١١. أسلوب الحوار مع المخالفين.
١٢. أئمة المذاهب تركوا لنا اجتهادات فقهية ولم يتركوا لنا طوائف...
١٣. العروبة والإسلام هوية لا يمكن التنازل عنها.
١٤. تصحيح المفاهيم والمصطلحات.
١٥. الدين ليس سبب التطرف وإنما البعد عنه.
١٦. المنبر موقع عام لو حرمة وقواعد وأصول.

وختاماً:

يقول النبي ﷺ
(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

أخرجه البخاري